الثبات فى المسيح

للقس أغسطينوس حنا

أثبتوا فى المسيح
كما يثبت الغصن فى الكرمة

أَنَا الْكَرْمَةُ وَأَنْتُمُ الأَغْصَانُ

(يوحنا ١٥: ٥)

جاء مثل الكرمة ضمن حديث رب المجد يسوع فى خطابه الوداعى يوم خميس العهد بعد غسل أرجل تلاميذه والذى انفرد بذكره الرسول يوحنا الحبيب فى انجيله فى أربعة اصحاحات رائعة من ١٣-١٦.

أهمية الثبوت فى المسيح:

لهذه الموضوع أهمية قصوى كما يتضح من الآتى :

١ - اختارت الكنيسة انجيل الكرمة والثبوت فى المسيح ، فى صلاة الساعة الثالثة حتى يقرأه ويحفظه ويردده الإنسان المسيحى كل يوم من أيام حياته فيدرك ضرورة هذا الثبوت ويتمتع ببركاته ويحذر من اهماله.

٢ - لقد شبّه الرب يسوع نفسه بالكرمة والمؤمنين به بالأغصان فالكرمة هى الأصل والأغصان هى الفروع ولا حياة للأغصان والفروع بدون الثبوت الكرمة . وبدون ثبوت الأغصان فى الكرمة تجف هذه الأغصان وتموت إذ من خلالها تنساب عصارة الحياة والخصب . ولذلك يقول "إن كان أحد لا يثبت فىّ يُطرح خارجاً كالغصن فيجف ويجمعونه ويطرحونه فى النار فيحترق" (يو ١٥:٦).

٣ - إن الأغصان لا تستمد الحياة فقط من الكرمة **ولكن أيضاً تستمد القوة والنضارة التى بها تنضج وتنمو وتمتد** ولذلك قال السيد

المسيح "بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً" (يو١٥:٥). وبدون القوة والنمو نرتد ونضمحل ونذبل ونجف ونموت.

٤ - **ثبوتنا فى المسيح لازم للأثمار** وبدونه من المستحيل أن تثمر حياتنا أيه أثمار مسيحية على الأطلاق. وقد أوضح الرب ذلك بقوله "اثبتوا فىّ وانا فيكم. كما أن الغصن لا يقدر أن يأتى بثمر من ذاته إن لم تثبت فى الكرمة كذلك أنتم ايضاً إن لم تثبتوا فىّ ... **الذى يثبت فىّ وأنا فيه هذا يأتى بثمر كثير**" (يو١٥، ٤:٥).

من تعاليم الكرمة :

أولاً - الخصوبة والأثمار :

الكرمة من أكثر النباتات والأشجار خصوبة وانتاجاً وثماراً كثيرة وشهيّة ولذلك شّبه الرب نفسه بها ، كما شبّه شعبه بها فى العهد القديم ، وشبّه كنيسته بها (١ش٥، مز ٨٠، يو١٥، مت ٢١:٣٣) . كما تُشبّه بها القديسة مريم العذراء بإعتبارها الأُم الحاملة عنقود الحياة (صلاة الساعة الثالثة) . ويُشبّه بها المؤمن أو بأغصانها المثمرة الحاملة ثمار الروح القدس التسعة : " محبة فرح سلام ، طول أناة لطف صلاح، ايمان وداعة تعفف" (غل ٥:٢٢) بالإضافة الى ثمار أعمال الايمان وثمار الوصايا والأعمال الصالحة.

ثانيا – النمو والإمتداد :

من المعروف عن الكرمة النمو والإمتداد والتشعّب والإنتشار الكثير والسريع فهى تتسلق الحوائط والأسوار " وتكعيبة العنب" وتمنو وتكثر وتتفرع على الأرض وفى كل مكان . وهكذا ينبغى أن ينمو الإنسان المسيحى فى النعمة والقامة الروحية ومعرفة المسيح و ينمو فى كل فضيلة وفى ثمار الروح القدس . كما ينبغى أن ينمو فى عبادته أى فى مدارس الصلاة والصوم والعطاء ، وينمو ويمتد فى خدمته فيربح نفوساً للمسيح ويُبشَر ويُعلَم ويعزى ويبنى وهكذا ينتشر ملكوت الله على الأرض ويتخطى الأسوار ويُقدّم للجميع خلاصاً وشفاءاً وعزاءاً وأثماراً صالحة.

والنمو هو دليل الحياة والصحة والقوة والبركة، بينما عدم النمو يعنى المرض والشلل والخلل والعقم والإنكماش والموت واللعنة .

ثالثاً – الإتحاد :

مثل الكرمة يعلّمنا درس الوحدة أو الإتحاد بالمسيح ولذلك يكرر " اثبتوا فىّ وأنا فيكم " "اثبتوا فى كلامى . . . واثبتوا فى محبتى " فالعلاقة التى تربط الغصن بالكرمة هى علاقة حيّة وحقيقية ولذلك يقول الرب . " أنا الكرمة الحقيقية " فالأمر أكثر من مجرّد مثل أو تشبي.

وهذا الإتحاد ليس خارجياً ولا شكلياً ولا مؤقتاً ولكنه اتحاد آلهى حقيقيى ودائم . وبفضله يصل الى الغصن كل ما فى الكرمة من حياة وعصارة ودسم وحلاوة ويصبح غصناً مثمراً ، إنه مثل ثبوت الأعضاء فى الجسم .

وهذا الإتحاد كامل بين الكرمة والغصن فلا غنى للغصن عن الكرمة فهو لا شئ بدونها ، كما أن الكرمة بدون الغصن لن تفعل شيئاً ولا تقدر أن تحمل ثماراً. وقد يبدو هذا عجيباً ، فى التطبيق ،إذ أن الرب فى محبته وإتضاعه تفضل وأعطانا شرف حمل خيراته وثماره الى العالم وفى تنازله اعتمد علينا فى ذلك إنه التكريم السامى الذى دعا إليه عبيده ومفديه . فكما أنه لاغنى للمؤمنين عن المسيح فى السماء فإنه لا غنى له عن أولاده على الأرض . يقف المسيح امام وجه الآب فى السماء كنائب عنا وممثل لنا وشفيع فينا (عب ٢٥:٧) . بينما نسعى نحن على الأرض كعروسه وخدّامه وسفرائه وشركائه وأعضاء جسده "وأغصانه" المحملة بالثمار " وأماّ أنتم فجسد المسيح ،اعضاؤه أفراداً " (اكو ٢٧:١٢) . " لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه " (أف ٣٠:٥) .

رابعاً – عصير الكرمة :

من الأسباب التى اتخذها المسيح لتشبيه نفسه بالكرمة أن عصير الكرمة هو أقرب الأشياء لدمه ، ولذلك يقول الكتاب المقدس عنه فى سفر التثنية " ودم العنب شربته خمراً " (تث ٣٢:١٤). وكانت تقدمة الكاهن ملكى صادق لأبينا ابراهيم من الخبز والخمر رمزاً لكهنوت العهد الجديد أى لجسد المسيح ودمه (تك ١٤:١٨) . " أنت كاهن الى الأبد على رتبة – أو طقس – ملكى صادق " (مز ١١٠:٤) . " واتخذ الكأس وشكر قائلاً اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا " (مت ٢٦، ٢٨:٢٧).

كيف نثبت فى المسيح ؟

إن سبب ضعف وهزال ومرض الكثيرين بل وارتدادهم عن المسيح وموتهم روحياً ، هو عدم ثبوتهم فى المسيح وعدم معرفتهم كيف يثبتون فيه الى النهاية . ومن أهم وسائل الثبات الآتى :

١ – بالتناول من جسد الرب ودمه :

قال رب المجد " جسدى مأكل حق ودمى مشرب حق ، **من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فىّ وأنا فيه** " (يو ٦:٥٦:٥٥) . ولكن بشرط أن يكون هذا التناول بإستحقاق أى

يسبقه امتحان للنفس واعتراف بالخطايا وتوبة حقيقية ورغبة صادقة فى الحياة مع الله والاّ فلا يستفيد المتناول منه وإنما يتعرّض للتأديب الآلهى والدينونة (١كو ١١:٢٩-٣١) . كما يتبع التناول تبشير بفداء المسيح " كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب الى أن يجئ " (١كو ١١:٢٦) . ويعقبه ايضاً تسبيح "ثم سبّحوا وخرجوا الى جبل الزيتون " (مت ٢٦:٣٠). ولذلك يقول الشعب فى القداس " آمين . آمين . آمين بموتك يا رب نبشّر وبقيامتك المقدسة وصعودك الى السموات نعترف . نسبحّك . نباركك. نشكرك. . . "

٢ - بالثبوت فى كلام المسيح وحفظ وصاياه

" **فقال يسوع إن ثبتّم فى كلامى فبالحقيقة تكونون تلاميذى** " (يو ٨:٣١) . وحتى نثبت فى كلام المسيح " لتسكن فيكم كلمة المسيح بغنى " (كو٣:١٦). و " فى ناموسه نلهج نهاراً وليلاً " (مز١:٢) . " من يحبنى يحفظ وصاياى " (يو ١٤:٢١). ولنكن " سامعين عاملين بالكلمة لا سامعين فقط خادعين نفوسنا " (يع ١:٢٢).

٣ - بالصلاة وكلمة الله معاً :

"إن ثبتم فىّ وثبت كلامى فيكم تطلبون ما تريدون فيكون لكم " (يو ١٥:٧).

٤ – بعمل الروح القدس :

" ولكن الذى يثبتنا معكم فى المسيح وقد مسحنا هو الله الذى ختمنا أيضاً وأعطى عربون الروح فى قلوبنا "(٢كو ١:١٢) . ولذلك يسمى الميرون بسر التثبيت . وكلما امتلأنا بالروح إزددنا ثباتاً فى المسيح (أف ٥:١٨) .

٥ – بالإيمان والرجاء والمحبة :

"لأنكم بالإيمان تثبتون " (٢كو ١:٢٤) . " أيها الأولاد أثبتوا فيه حتى متى أُظهر يكون لنا ثقة ولا نخجل منه فى مجيئه "(١يو ٢:٢٨). ويقول الرب يسوع " اثبتوا فى محبتى . إن حفظتم وصاياى تثبتون فى محبتى كما أنا قد حفظت وصايا أبى وأثبت فى محبته "(يو ١٥، ١٠:٩).

٦ – بالسلوك المسيحى العملى :

"من قال أنه ثابت فيه ينبغى أنه كما سلك ذاك هكذا يسلك هو أيضاً" (١يو ٢:٦).

٧ – بمحبة الأخوة :

' من يحب أخاه يثبت فى النور وليس فيه عثرة . وأما من يبغض أخاه فهو فى الظلمة والظلمة أعمت عينيه ' (١يو ٢:١٠).

St. John Coptic Orthodox Church
Covina, California
Tel. (909) 592-8847 (562) 900-2695
Email: frhanna@mystjohn.org
Website: www.mystjohn.org